ISSN: 1812-0512 (Print) 2790-346X (online)
Wasit Journal for Human Sciences
Available online at: https://wjfh.uowasit.edu.iq

The Defenses of Fatimah Regarding the Model of Humanity and Humanism

1 Researcher Farah Ramin, Professor at Qom University, Qom, Iran (Responsible Author)
2. Researcher Masoud Poursid Aghaei, professor at the Seminary, Qom, Iran

*** Corresponding Author Email:**
1. f.ramin@qom.ac.ir
2.masoud.pa313@gmail.com

Keywords:
Fatimah, Humanity, The Noble Prophet, Explicit Defenses, Passive Resistance.

A B S T R A C T

Based on the Hadith of Thaqalayn, human salvation is achieved through holding fast to the Book of God and the pure progeny (Ahl al-Bayt). The greatest injustice is none other than the usurpation of the Prophet's rightful authority from those who are worthy of it. The greatest wrong in this context is the failure to restore this right. Guidance is impossible without the accompaniment of the pure family. Lady Fatimah, with her existence, is a symbol of knowledge for anyone who seeks the straight path, as numerous narrations from the Prophet Muhammad have highlighted her status. Her presence alongside Amir al-Mu'minin Ali stands as the highest proof of his rightful Imamate, divinely ordained, and necessary for all of humanity throughout time. Her explicit defense and her confrontations alongside the Imam of her time sought to free humanity from the grip of oppression.

The necessity of the Imam for human society compelled Lady Fatimah to take effective steps to preserve the Imamate. This study explores the three major sermons delivered by Lady Fatimah through a descriptive-analytical approach. Her refusal to engage in dialogue with her opponents, her insistence on Bilal's call to prayer after the Prophet's death, her continuous tears, and her will, all constitute forms of passive resistance aimed at fulfilling her most important duty: defending humanity.

Lady Fatimah saw in the loss of Imam Ali, and her distance from her divine role, the suffering and deprivation of all humankind until the Day of Judgment. This is the primary reason for her abundant tears, which flowed day and night, making her the "Head of the Weepers." This emotional expression persisted during the brief period she lived after the martyrdom of the Prophet Muhammad (PBUH).

© 2024 wjfh.Wasit University
https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol20.Iss4/Pt2.823

دفاعيات فاطمة عن اسوة الإنسان والإنسانية

الباحثة فرح رامين، الاستاذ فى جامعة قم، قم، ايران (الكاتبة المسؤولة)
الباحث مسعود پورسيد اقايى، الاستاذ فى حوزة العلمية، قم، ايران

الملخص

بناءً على حديث الثقلين، يتحقق خلاص ونجاة الإنسان من خلال التمسك بكتاب الله والعترة الطاهرة. وأعظم الظلم ليس إلا غصب مقام وصاية النبي الأعظم عمن هو أهل له وأهمّ الإقدام، هو ما يتعلّق بإحقاق هذا الحق. إذ الهداية لاتمكن بدون مرافقة العترة. إنّ السيدة الزهراء، وجودها علم وعلامة لكلّ من يريد الصراط المستقيم، لما صدر في شأنها من الروايات عن رسول الله، وإن بقاءها إلى جانب أميرالمؤمنين علي هو أعلى علامة على أن إمامته حقّ ومن الله سبحانه وتعالى وأنّ وجوده لازم وضروري على مر العصور لجميع البشر. دفاعاتها الصريحة ومواجهاتها السلبية بجانب إمام زمانها تسعى نحو تحقيق تحرير الإنسان من قبضة الظلم. إن ضرورة وجود الإمام للمجتمع الإنساني تلزم السيدة فاطمة بأن تتخذ خطوات فعّالة في مسير حفظ الإمام. في هذا البحث، نتصدّى لدراسة الخطب الثلاثة للسيدة الزهراء بطريقة وصفية–تحليلية. تحريمها الحوار مع المناوئين، والإصرار على أن يؤذّن بلال بعد وفاة الرسول، ودموعها المستمرة، ووصيتها تشكل نوعًا من المواجهة السلبية لتحقيق أهم واجب لها، وهو الدفاع عن الإنسان والإنسانية. إن السيدة الزهراء كانت تشاهد في فقدان الإمام أميرالمؤمنين وابتعادها عن سمتها الإلهى، معاناة جميع البشر وحرمانه إلى يوم القيامة، وهذا هو السبب الأصيل لغزارة دموعها واستمرارها ليلا ونهارا حتى صارت «رأس البكّائين» وما صدر منها في الفترة القليلة التي عاشتها بعد استشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله.

الكلمات المفتاحية: فاطمة، على الانسان، الرسول الاكرم، الدفاعيات الصريحة، المبارزاة السلبية.

المقدمة

قد اختار الله تعالى من بين البشر قادة وهداة لتوجيه الإنسان وإرشاده في طريقه، ليأمن عن العثار في المداحض. جاءوا لإنقاذ الإنسان من الضلالة وتوجيهه إلى الطريق الصحيح. إن الأنبياء هم الأمثلة والقدوات التي اختارها الله لتمسك بها الإنسان في سعيه نحو الكمال، فإن حاجة الإنسان إلى الأمثلة والقدوات بديهية، وإذا لم يعرف الحق فإنه سيتبع الباطل. يعتقد عباس محمود العقاد، الكاتب المعاصر من أهل السنة أنّ: "في كل دين صورة للأنوثة الكاملة المقدسة يتخشع بها المؤمنون كأنها آية من آيات الله في ما خلق من ذكر وأنثى ... فإذا تقدست في المسيحية صورة مريم العذراء، ففى الاسلام لاجرم تتقدس صورة فاطمة البتول " (العقاد، د.ت: 15).

للوصول إلى معرفة فاطمة الزهراء، لا يكفي التعرّف على الصفات التي تعد معرفة رسمية لها. فالتعرّف التامّ على الإنسان الإلهي إنما هو بمعرفة وجوده الحقيقي. وما صار سببا لأن تصير فاطمة أسوة و قدوة، هو كمالاتها الحقيقية و ليس انتساباتها الاجتماعية فحسب. لأنّ الاعتبارات العقلائية لاتؤثّر إلا في الكمالات المتناسبة لها و هي ليست بكمالات الإنسان الحقيقية. في هذه المقالة، سأتحدث عن واحدة من جوانب شخصية فاطمة الزهراء، وهي دفاعها عن علي كوصي للرسول وإمام زمانها بدلا عن الاشتغال و الاكتفاء بأوصافها و توصيفها. لأنّ الجيل الحاضر بحاجة شديدة إلى البيان و التطبيق لا الأوصاف الاعتبارية فحسب. فاطمة هي شخصية ذات عصمة ولذلك فإن قولها وفعلها وتفسيرها حجة. و إذا كانت هناك عصمة، فإن في صرختها في المسجد النبوى مدينة وفي تحريمها الكلام مع معارضيها إلى أن استشهدت و وصيتها بالدفن السري، نكات و مكنونات كثيرة ألجأتنا بيانها إلى تدوين هذه المقالة. يقول العقاد: «... فانّها قد تكتب لها ترجمة لانّها بنت محمد، او تكتب لها ترجمة لانّها زوج على، او تكتب لها ترجمة لانّها ام الحسن والحسين وبينهما الشهداء لكنها مع هذه الكرامة تكتب لها ترجمة لانّها هى فاطمة، ولانّها هى مصدرٌ من مصادر القوة التاريخية التى تتابعت آثارها فى دعوات الخلافة من صدر الاسلام الى الزمن الاخير. وهذا الذى قصدت اليه بكتابة هذه

السيرة»(العقاد، د.ت:8). ولا ينبغي دراسة شخصية فاطمة الزهراء بهذه الاعتباريات المحضة التي ربّما شاركها فيها آخرون أو سبقوها إلى بعضها كما في الانتساب إلى النبي الأعظم وأميرالمؤمنين و الأئمة المعصومين كبنت أو زوجة أو أمّ؛ في حين أنّ أيّا منهم لم يلحقوا فاطمة في عظمتها. وهذا ما يكشف عن وجود شخصية حقيقية عالية في الزهراء أزهرت هذه الكماليات وكشفت عنها.

1. ضرورة وجود الإمام في المجتمع الإنساني

إنّ الذي يظهر من دراسة الحضارات و المجتمعات البشرية في ماضى الزمان و حاضره، أنه كان هناك دائمًا فرد أو أفراد يؤدون دور الإمامة بطرق متنوعة. كما قال الإمام أميرالمؤمنين: "لابد للناس من أميرٍ براً أو فاجراً" (نهج‌البلاغة، خطبة 140). وبالتالي، أنّ مختلف الفرق الإسلامية خضعت تجاه أصالة «ضرورة الإمام و لزومه» وتلقّتها بالقبول و قام كلّ من الأشاعرة و المعتزلة و الإمامية إلى إقامة أدلّة عليها تثبتها على مستوى عقيدتها (مثل قاعدة اللطف، برهان ضرورة تنفيذ القوانين الإلهية، برهان العلّة الغائية، ...). وهناك أركان لهيكل التفكر الشيعى، لولاها لاضمحل هذا الهيكل و يصبح منهدّا، أهمّها الإمامة و الولاية. و في بيان أئمة الشيعة، أنّ الولاية هي أصل الدين وأساسه ولا حقيقة و لا بقاء للدين بدونها. (كربن، 1386: 72) فلسفة الإمامة تتمثل في فهم باطن الدين وباطن القرآن، حيث لا ينتهي الدين والقرآن إلى الظاهر فقط بل يحتاجون إلى شخص يفهم باطنهما ويعبر عنهما. ولذا واجهت المجتمعات الشيعية سؤالًا حول ما هي مسؤولية المؤمن تجاه الدين والقرآن بعد وفاة النبي. الشيعة تعتقد أنه بعد النبوة، قامت الولاية مقامها، وأن حقيقة ما حوته النبوة وصلت إلى الأئمة: وهم الذين ينقلونها إلى الأجيال اللاحقة. إذاً لابدّ من وجود إمام، كي يكون هاديا إلى باطن الوحى و بيانه. (كربن، 1361، 1: 443). ويجب أن يُلاحظ أن كتاب الله هو برنامج شامل لتنظيم النظام الاجتماعي للإنسان. و لا فائدة في تفسير كتاب و برنامج لايتمّ تنفيذه في المجتمع. ولا هدف نهائيا وراء الاضطرار إلى الإمام إلا هذه المهمّة وهي تنفيذ الأحكام الإلهية الذي لايمكن تحقّقه إلا بوجود إمام مدبّر. و المسلمون يعنون بما اصطلحوا عليه من «وجوب وجود الإمام» هذا المعنى الذي أشرنا إليه. ومن الواضح أن هذه الأهداف لن تحقق بإراءة تفسير صحيح للكتاب فحسب. و كما يشهد التاريخ، أن المسلمين بعدما رفضوا الأفراد المؤهلين ومنعوهم من التدخل في الشؤون، حرموا من أن يطبق التعاليم القرآنية بالشكل المطلوب كما هي.

المعنى اللغوي لـ«لإمام»: الراغب في كتابه يُرجع كلّ استعمالات الإمام إلى «ما يتّبع». (راغب اصفهاني، 1387: 33). "الإمامة رئاسة عامة في الدين والدنيا لشخص من الاشخاص نيابة عن النبي" (مقداد، 1363: 325). قد قدم أهل السنة تعريفًا مماثلاً للإمامة: "«الامامة رئاسة عامة فى الدين و الدنيا لشخص من الاشخاص»" (تفتازاني، 1409هـ: 5، 324). يتضح من تعاريف المتكلمين الإسلاميين، سواء من الشيعة أو أهل السنة، أن الإمامة تعمّ الشؤون الدنيوية و الدينية، وأن هذا المنصب، بما أنّه خلافة النبي، يتمتع بقدسية ويُعتبر واجب الطاعة (علامه حلي، 1417هـ: 93؛ إيجي، د.ت: 8، 345؛ آمدي، د.ت: 5، 121؛ مفيد، د.ت: 39؛ الطوسي، 1413هـ: 83). و أما في مصطلح الكلام، هناك اختلاف بين الشيعة وأهل السنة في صفات الإمام و مصاديقه، و الذي يعود إلى أن أهل السنة يرون أن الإمام مسؤول فقط عن حفظ الدين في مواجهة الأعداء والمثيرين للفتن، وتنفيذ الأحكام الإلهية. في مقابل أنّ الشيعة تعتبر أن الإمام مسؤول عن تفسير الكتاب و بيانه الصحيح أيضًا، وهذا هو ما أدّى إلى اختلاف الشيعة و أهل السنة فيما يلي:

– الشيعة تشترط العلم بالشريعة في الإمام في حين أنّ أهل السنّة لاتعتبره. (قندوزي، 1416هـ، 1: 216؛ 2: 173 و3: 147؛ الصغدي، 1420هـ، 21: 179؛ إيجي، بدون تاريخ،3: 628؛ مناوي، 1415هـ،4:470؛ أميني،1397هـ،3: 97).

– الشيعة تشترط العصمة في الإمام في أنّ أهل السنّة لاتعتبره. والعصمة لايمكن إحرازها إلا بالنصّ والنصب الإلهي. لأنّ شأن الإمام، هو بيان الواقع لا تفسيره باجتهاده و حسبما يراه.

– الشيعة تشترط العدالة في الإمامة لأنّ تنفيد الأحكام كما هي و بشكل صحيح لايمكن بدونها؛ في حين أنّ أهل السنّة لاتعتبره وتعتقد: " يجب طاعة الامام ما لم يخالف حكم الشرع سواء كان عادلاً أو جائراً " (تفتازاني، 1409هـ، 5: 234–233).

2. ضرورة حكومة أميرالمؤمنين كخليفة رسول الله

من وجهة نظر القرآن الكريم، أنّ الإنسان هو خليفة الله (البقرة: 30؛ الأنعام: 165)، مسؤول وأمين لله (الأحزاب: 72؛ الدهر: 2–3)؛ صاحب الكرامة والشرافة الذاتيتين (الإسراء: 70)؛ ولديه الضمير الخلقى (الشمس: 9–7)، و الفطرة الباحثة عن الله (الأعراف: 173–172؛ روم: 30)، والعنصر الروحاني الإلهي (السجدة: 9–7) واستعداد علمي كبير جدّا (البقرة: 33–31). على صعيد آخر، يحمل هذا الإنسان أيضًا سمات و خصائص سلبية تستدعي اللوم، مثل إهمال الجانب الروحاني والتركيز على الجانب المادي (إبراهيم: 34)؛ تفضيل المصالح واللذات الزائلة (الإسراء: 11)، والكفران (الحج: 66). الإنسان، من خلال اختياره وإرادته، يمنح النشاط لقواه ومواهبه الحالية، و يتحوّل مستمرا و يستمر في عملية "الصيرورة" لذا، بإمكانه – إذا تم تنشئته وتربيته تحت إشراف مرشدين مؤهلين – أن يعرج و يتقوّى روحيا إلى أن يصير الشجرة الطوبى الإلهية التي «أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّماءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا»(ابراهيم: 25–24). ومن حيث أنّ المعرفة والعمل يصنعان الإنسان، يجب عليه أن يتعلّم النافع و يعمل الصالح و هذا ما لايمكنه إلا بالبرنامج و التوجيه. واستنادًا إلى حديث الثقلين الذي لا شك في تواتره، وعلى سائر توجيهات النبي الكريم، ينحصر ما يهديه ويمنعه عن الضلالة في التمسك بكتاب الله وبالأشخاص الكاملين (العترة)، الذَين لا نجاة إلا بهما معاً. الإنسان الكامل، غاية تطوره وكماله هو الصراط المستقيم و الصراط إلى الله. بل هو "صراط الله" بنفسه وعلى كلّ من يريد الوصول إلى الكمال، أن يقرّب نفسه من نفسه. (حسنزاده آملى، 1385ش: 8). الإنسان الكامل يجسد جميع أسماء الله وصفاته، لذا لايتم تعريف الإنسان الكامل و تعيين مصداقه إلا بواسطة الله وبعده بواسطة الأنبياء الإلهيين الذين هم الأكمل بين الأناس الكاملين. وفي تفسير سورة القدر، يقول الإمام الصادق: «الليلة فاطمة و القدر الله، فمن عرف فاطمه حق معرفتها فقد ادرک ليلة القدر»(فرات الكوفى1410هـ ، 1: 528). فاطمة هي إنسان كامل فطم الخلق عن معرفتها كما صرّح به الإمام المعصوم: "إنما سميت فاطمة لأن الخلق فطموا عن معرفتها" (المصدرنفسه)، وهي مع أسرتها هم السبب لنزول سورة الإنسان (بحراني، 1416هـ، 5: 546).

على صعيد آخر ووفقًا لحديث "من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية" الذي ذُكر بتواتر اجمالى ومعنوى وموجود في مصادر أهل السنة (قندوزي، 1416هـ، 1: 351؛ الطبراني، 1415هـ، 6: 70) والشيعة (الكليني، 1429هـ، 2: 251؛ الصدوق، 1378: 1: 63)، أنّه إذا كان الإنسان لم يعرف إمامه، فإنّه سيكون مسيره إلى الموت الجاهلي الذي معناه الخروج من الإسلام، و التفرق وعدم الانتظام، والانحراف والعصيان (ابن أثير، 1364ش، 1: 323؛ السيوطي، 1406هـ، 7: 123؛ ابن حجر العسقلاني، 1415هـ، 13: 5) لذا يجب الطاعة عن الإمام الحق على كلّ من دان بالإسلام. وهذا الوجوب الذي هو طاعة «أولي الأمر»، من المسلمات القرآنية (النساء: 59)، و «أولوا الأمر» هم الذين يحملون على عاتقهم حفظ ورعاية الدين وحمايته، وتفسير وشرح الدستور الأساسي للإسلام (القرآن) وتنفيذ الأحكام الإلهية في المجتمع و هي على عهدتهم. (الطباطبائي، 1386: 241). لذا كان أكبر أهداف الأئمة من مكافحاتهم – بما أنّهم أناس كاملون – هي تأسيس حكومة إسلامية تدور حول إمامة الإمام المحقّ. وكانت جهود السيدة فاطمة في فترتها الزمنية وبناءً على الظروف السياسية والاجتماعية في ذلك الوقت، إثبات إمامة أميرالمؤمنين وخلافته كاصل أساسي للدين الإسلامي. قد أكد النبي الأكرم مرارًا وتكرارًا على وصاية علي وخلافته كي يتّضح الطريق بعده ويصفر الصبح عن محضه. و بإمكاننا أن نشير من بين الوثائق التاريخية المهمة التي تلقّتها الفرقتان بالقبول، إلى واقعة الغدير (الصدوق،1403هـ، 1: 173)،

وحديث المنزلة (ابن هشام، د.ت،2: 520؛ المجلسي، 1403هـ، 1: 207)، وحديث سد الأبواب (ابن حنبل، 1389هـ، 1: 175؛ الترمذي، 1421هـ، 2:301؛ السيوطي، 1414هـ، 6: 122).

وبإمكاننا أن نقول في معرفة الزهراء بزمانها والعمل وفق هذه المعرفة إنَّ في هذه الفترة من تاريخ الإسلام، كان علي وفاطمةمحورا الصراع و التقابل، و راعوا مصالح الأمة الإسلامية في موقعهم كإنسانين كاملين وفي حالة وصفها الله تعالى في حقّ نبيّه بأنّه كان «داعياً الى الله» و "سراجاً منيراً" (الأحزاب:46) قاما مثنى واستهدفا الهداية والحفاظ على إيمان المجتمع. وفاطمة ترى أنّ أعظم الظلم هو غصب منصب وصاية الرسول الأمين و أنّ أهم الإجراءات تجاه هذا الظلم إحقاق هذا الحقّ و الدفاع عن إمام زمانها و الخليفة المحقّ والإنسان الكامل وهو أمير المؤمنين على بن أبىطالب؛ لأنّها تشاهد جريمة المناوئين في التخلف عن نصّ رسول الله بل جعله تحت أقدامهم و الابتعاد عن أمر رسول الله الذي كانوا مكلّفين بأخذ ما آتاهم. وهذا المقال يستهدف دراسة دفاعيات السيدة الزهراء في هذا الصدد في ضمن عنوانين: الدفاعيات الصريحة والدفاعيات السلبية غيرالصريحة.

3. دفاعيات السيدة فاطمة

بعد وفاة رسول الله، وبعد ترك البيعة للإمام علي، بدأت المنافسة القبلية في السقيفة وانتهت بتولي قريش للخلافة استنادا إلى "التفوق القبلي" التي كانت تتمتع بها. فقريش – على الرغم من قيود نفوذهم في المدينة في ذلك الوقت – اغتنمت العناد الواقع بين طوائف الأنصار – وجعلتها سلّماً نحو ما رامته من التمكّن من رقاب الناس واستعبادهم؛ واستعانت بكبر سنّ أبي بكر في حين أنّ زميله في ذلک يعنى عليّا كان شابّا. عندما وصلت خبر البيعة إلى سلمان، قال: "اختاروا الأكبر سنًا، ولكنكم أخطأتم فيما يتعلق بأهل بيت نبيكم. فلو بايعتموهم، لن يكون يقع خلاف حتى بين الاثنين منكم. " (الجوهري، 1401هـ: 43؛ البلاذري، 1397هـ، 1: 590؛ ابن أبي الحديد، 1378هـ، 2: 49).

يُعلننا نصوص السقيفة أن الأنصار كانوا يرون الحكومة حقًا لهم، وعندما حضر أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة في اجتماعهم أكّدوا على أولويّة قريش بالنسبة للحكومة و أولويّة أبى بكر لما مضى عليه من العمر و صرّحوا على "أنّ العرب لن تمكّن إلا لقريش" (البلاذري، 1397هـ، 1: 582) ولن يتحمّل أن يكون النبوة في عائلة والخلافة في عائلة أخرى (ابن أبي الحديد، 1378هـ، 2: 38). لكن عندما اعترض الإمام أميرالمؤمنين على أبىبكر وعمر بنفس الكلام، قال عمر: "أن العرب لايعجبه أن يكون النبوة والخلافة في عائلة واحدة!" (فضل–بن شاذان، 1402هـ: 87). وأضاف: " كانت النبوة لكم، فاتركوا الخلافة لسائر الأسر!" و بعدما غادروا مجلس البيعة كما يرسمه لنا براء بن عازب كانوا يجولون في الشوارع و يجرّون الناس الى بيعة أبى بكر، أرادوا أم لا. و هذا هو ما عبّر عنه عمر بـ«فلتة». فعندها توجّه براء إلى أميرالمؤمنين في البيت و أخبره بما عاين. (فضل–بن شاذان، 1402هـ: 87). و كان من شدّة اهتمامهم ببيعة أبى بكر أنهم تركوا نعش رسول الله و لم يحضروا إلا بعد ما فرغ أميرالمؤمنين من دفنه؛ حسبما رواه ابن أبي شيبة. (ابن أبي شيبة، 1409هـ، 7: 432).

ويؤكّد ما ذكرناه من إكراه الناس على البيعة، ما نقله الشيخ المفيد في كتاب الجمل من طريق أبي مخنف بأسناده عن زائدة بن قدامة حيث يقول: «كان جماعة من الاعراب قد دخلوا المدينه ليمتادوا منها، فشغل الناس عنهم بموت رسول الله فشهدوا البيعة و حضروا الامر، فانفذ اليهم عمر و استدعاهم و قال لهم: حذوا بالحظّ و المعونه على بيعة خليفة رسول الله واخرجوا الى الناس و احشروهم ليبايعوا، فمن امتنع فاضربوا رأسه وجبينه!... .»(مفيد، 1371ش: 119). وبدأت مواجهة هذه الهجمة بالاعتراض و إبراز الخلاف من نفس ذلک الزمان وليس من قبل أميرالمؤمنين و العباس فقط. بل من قبل عدّة آخرين من معاريف ذلک الزمان ومن كبار

الصحابة أيضا؛ أمثال: زبير بن عوام، وخالد بن سعيد، ومقداد بن عمرو، وسلمان، وأبوذر، وعمار، وبراء بن عازب، وأُبيّ بن كعب (مقدسي، 1899م، 4: 65–66).

3. 1. دفاعيات صريحة

1.1.3 الدعوات الليلية

أرسل أصحاب السقيفة إلى أميرالمؤمنين و دعوه إلى البيعة تثبيتا لموقعهم بين الناس ولكنّه أبى (أميني، 1397هـ، 7: 80؛ ابن أبي الحديد، 1378هـ، 6: 18؛ الدينوري، 1371هـ، 8: 12)، وقال: "سبحان الله، سرعان ما كذبتم على رسول الله. إنّ أبا بكر وأنصاره يعلمون جيدًا أن الله ورسوله لم يختاروا للخلافة أحدًا غيري، ولاينبغي هذا اللقب إلا لي" (الدينوري، 1371هـ، 1: 14؛ الطبرسي، 1413هـ، 1: 208). في هذا الفضا، كانت السيدة زهراء أعلم الناس بعمق الكارثة وحرمان البشر بأجمعهم من أميرالمؤمنين، و لذا كانت تحضر عند بيوت المهاجرين والأنصار في ظلمة الليالي مع علي والحسنين: ويدقّون عليهم الباب و تذكّرهم بالغدير و ما جرى فيها و بفضائل الإمام أميرالمؤمنين إتماما للحجة (الدينوري، 1371هـ، 1: 12؛ الحسّون والمشكور، 1411هـ، 4: 114). كما يروي أبو بكر الجوهري بسنده عن الإمام الباقر: «انّ عليا حمل فاطمه على حمار، وساربها ليلاً الى بيوت الانصار يسألهم النصرة و تسألهم فاطمة الانتصار له... .» (ابن ابى الحديد، 1378ق، 6: 13). و جاء فى وصية الزهراء: «وطنت عليهم فى بيوتهم و اميرالمؤمنين يحملنى و معى الحسن و الحسين ليلاً و نهاراً الى منازلهم و اذكرهم بالله و رسوله الّا تظلمونا و لا تغصبونا حقّنا الذى جعله الله لنا، فيجيبونا ليلاً و يقعدون عن نصرتنا نهاراً... .» (ديلمى، 1398ق: 263). لكنّهم – حسبما ينقل عنهم ابن أبى الحديد – كانوا يعتذرون بأنه لو كان أميرالمؤمنين قدّم نفسه ما كانوا ليعدلوا عنه و يجيبهم أميرالمؤمنين بأنّه: هل كان يجوز لي أن أدع جثّة رسول الله وأشارك الناس في تخاصمهم حول الحكومة؟!" (1378هـ، 6:13).

2.1.3. الهجوم على بيت فاطمة الزهراء

بعد أن لم يبايع الإمام، بنى أصحاب السقيفة على الاشتداد في المواجهة و أصدر أبوبكر من عند نفسه أو حسبما أشار إليه عمر (الدينورى،1371هـ، 1: 19؛ الطبرسى، 1413هـ، 1: 208؛ المجلسى، 1403هـ، 28: 226) الحكم بالهجوم على بيت الزهراء (ابن أبي الحديد، 1378هـ، 6: 48)، وقال لعمر: "اذهب مع جماعة إلى بيت الزهراء وادعهم للبيعة، وإن أب عليّ فحاربه" (الحسون والمشكور، 1411هـ، 3: 1207) واستخدموا القوة لجلبه بكل وسيلة (البلاذرى، 1397هـ، 1: 587). وليلاحظ أنّه وإن كانت تختلف سياسة أبى بكر عن سياسة عمر و إنّ عمر كان يعتقد بالبيعة عن كره في حين أنّ أبا بكر، كان لايرى هذه السياسة ناجحة ولكنّ الوثائق التي أشرنا إلى بعضها تصرّح بأنّ فكرة الهجوم كانت من قبل أبى بكر نفسه وإن روى أنّه أعلن في خطبة: "لا بيعة لي فى عنقه وهو بالخيار من أمره" (أمينى، 1397هـ، 5: 368). فقد واجه الذين اجتمعوا في بيت الإمام هجومًا حادًا من قبل عمر وأنصاره حيث كسر عمر سيف الزبير، ثم هدد بإحراق البيت. وعندما سألت السيدة فاطمة عنه هل أنّه جازم على قصده هذا، قال: "نعم، إلا أن تقبلوا ما تلقّته الأمّة بالقبول" (البلاذرى، 1397هـ، 1: 586؛ ابن أبي الحديد، 1378هـ، 20: 147؛ الحسّون والمشكور، 1411هـ، 3: 1207؛ ابن أبي شيبه، 1409هـ، 14: 567–568). نعم؛ إنّهم حاولوا استخدام المفاوضة أيضا ولكنّهم فشلوا فيها و رفضهم العباس حيث اقترحوا عليه بأن يشاركوه و أولاده في الحكومة (ابن أبي الحديد، 1378هـ، 1: 220).

3.1.3. الحفاظ على حياة الإمام (الخطبة الأولى)

بعد وفاة النبي الأكرم وحدوث مؤامرة السقيفة، و بعدما هجم بعض المؤامرين إلى بيت الزهراء لأخذ البيعة، مع جمع من أناس مخدوعين و تهديده بإحراق البيت حينما واجه امتناع الإمام عن البيعة، وقفت السيدة فاطمة عند باب البيت وخاطبتهم بقولها: «لا عهد

لـى بقوم[حضـروا] أسوء محضـراً منـكم، تركتم رسـول الله جنـازة بـين أيـدينا، و قطعتم أمركم[فيمـا] بينـكم، لـم تؤمرونـا[و صـنعتم بنـا مـا صنعتم] و لم تروا لنا حقاً، كأنكم لم تعملوا ما قال يوم غدير خم؟! والله لقد عقد لـه يومئذٍ الولاء ليقطـع منـكم بذلـك منها الرجاء و لكنكم قطعتم الأسباب بينكم و بين نبيكم و الله حسيبٌ بيننا و بينكم فى الدنيا و الاخرة.»(مجلسى، 1403ق، 28: 205؛ الطبرسى، 1413، 1: 202–203). وبالتأكيد، كانت معارضة السيدة الزهراء أمرًا هامًا للخليفة بالنسبة إلى وجاهته العامّة، و بلغ الأمر إلى أنّ أبا بكر في لحظاته الأخيرة أفصح عمّا في نفسه من الندم و الأسف لما جرى على يديه على بيت الزهراء. فإنّه روى عنه المورّخون من العامّة أيضا قوله في أيّامه الأخيرة: "ليتني لم أفتش بيت الزهراء أبدًا" (الهندي، 1405هـ، 5: 13–14).

4.1.3. خطبة فدك (الخطبة الثانية)

خطبة فدك هي أهمّ خطبة ألقتها السيدة الزهراء في مسجد النبي. وقد رواها المحدّثون من الخاصّة والعامّة بأسانيد عديدة في كتبهم و اكتفى أكثرهم بذكر بعض فقرات الخطبة فحسب. و تمّ نقل الخطبة بأسرها في سبعة من المدارک؛ هي: "دلائل الإمامة" (الطبري)، و"الاحتجاج" (الطبرسي)، و"كشف الغمة" (الأربلي)، و"بلاغات النساء" (ابن طيفور)، و"الشافي" (السيد مرتضى)، و"شرح نهج البلاغة" (ابن أبي الحديد)، و"الطرائف" (ابن طاووس). وأقدم مصدر من بين هذه السبعة، هي كتاب بلاغات النساء. أشرنا إلى أنّ نقل هذه الخطبة مما اهتمّ به المحدّثون من العامّة و الخاصّة وهذا ما صرّح به الإربلي أيضا بقوله: "روى هذه الخطبة، الموافق والمخالف." (الأربلي، 1401هـ، 2: 105). ممّا تتميز به هذه الخطبة، الدقّة في استخدام الكلمات والجمل والعبارات حيث قامت السيدة بتبيين المعارف الإلهية بطريقة تشبه خطب أميرالمؤمنين في نهج البلاغة. (الجوادي آملي، 1368ش: 255). ولفهم الخطبة واستفادة أفضل وتحليلها، يجب علينا أن ننتبه إلى ثلاث نقاط: الكلام، والمشافهين، والجوّ السياسي المسيطر على المدينة آنذاک. وقد أشرنا فيما مضى من المقال إلى الظروف الحاكمة على المدينة. وأما النقطتان الأخيرتان:

المشافهون الذين خاطبهم السيدة في المسجد، ينقسمون إلى أربع فئات:

1 .أبو بكر مع جماعته المؤيدة له.

2 .المهاجرون، المنقسمة إلى المؤيّدين لأبى بكر والمتحيّرين والمتأثرين من الشائعات.

3 .الأنصار، الذين لهم السابقة الحسنى (مع بعض الانحرافات)، ولكنّهم كانوا قلقين من قيادة قريش وخسارتهم في السقيفة، زعماءهم مترإسة و جماعتهم مرعوبة ولكنهم في نفس الوقت، محبّون لأهل البيت وجاهزون للثورة.

4 .عامّة الناس، الذين الغلبة فيهم مع المشاهدين الساكتين الذين لايشعرون بأيّة مسؤولية.

والسيدة الزهراء تفضح الخليفة بمرأى الناس و بالنسبة إلى الثلاثة الأخرى: تذكّر وتوبّخ المهاجرين، تكرم وتهيّج الأنصار، وتذكّر وتذمّ العامّة؛ في حين تبصرّهم جميعا وتحذّرهم من الغضب الإلهي والخزي في الآخرة. ولتحليل الخطبة، يجب التأمل في بدايتها ونهايتها، والعلاقات بين فقراتها مع الانتباه إلى المشاهدين واحتياجات كلّ فرقة منهم وأيضا الظروف الحاكمة. وبعد أن ليّنت السيدة قلوب الناس ببكاءهم كالسحاب الهاطلة المنبعثة من حنينها وأنينها، افتتحت خطبتها بحمد الله سبحانه وذكر نعماءه وأردفتها بالشهادتين بالوحدانية والرسالة وتكلّمت حولهما. ثم أشارت إلى الثقلين وتكليف الناس كلّهم حولهما وتوصف القرآن بأنه كدعامة للعترة، ونور الهداية، ودليل العمل، وتشمل الدلائل الواضحة والحلال والحرام الإلهية. ثم أخذت في ذكر دعائم الإسلام، من الإيمان والصلاة والزكاة والصيام والدنس والرياء ومن الحج والعدل ومن الطاعة والإمامة لأهل البيت لترسيخ وتعزيز الوحدة ومنع الانقسام في الأمة، ومن الجهاد والصبر والأمر بالمعروف والصلة الرحم والقصاص وأشارت في كل مورد إلى حكمته وفائدته كما أشرنا إليه في الإمامة. و تنتهي هذه الفقرة بالتوصي بتقوى الله والخشوع والطاعة لأمر الله ونهيه.

تحليل هذه الاختيارات مع ما ذكرت لها من الحكم و الفوائد – بينما كان بإمكانها أن تضيف أحكاما أخرى مقرونة بحكمها وفوائدها – يقودنا إلى فهم أعمق للعلاقات والروابط الموجودة بين الأحكام الإلهية وأنّه لماذا اختارت السيدة الزهراء من بين الأحكام الإلهية بأسرها هذه الأحكام و بالخصوص لماذا أشارت إلى الإمامة مع ما لها من الفائدة و الحكمة؟ قد يكون هناك تحديات أو موانع قد نشأت في هذه الجماعة تطلب مثل هذا الاختيار للتداوي والعلاج. ثم عرّفت نفسها لتذكّرهم بآية التطهير والمباهلة وما قاله النبي الأعظم في شأنها ليكون دعمًا لما قاله وسيقوله في المستقبل، وتذكّر الأنصار بالخصوص، ما شرطه عليهم النبي في العقبة الثانية واستخدمت كلمة «الأخ» لأميرالمؤمنين لأنّه كان استناد الغاصبين للخلافة إلى قرابتهم من رسول الله وبهذا أفلجوا الأنصار في ادّعائهم. فعليّ بما أنّه أخو رسول الله فليس أحد أقرب منه إليه. وهذا ما أشار إليه أميرالمؤمنين أيضا بقوله: "احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة" (نهج البلاغة: خطبة 64). ثم أشارت إلى ما مضى عليهم في الجاهلية وحياتهم الخبيثة وما أتحفهم النبي برسالته، من دعواته و جهاده الدائم مع الكفر و الشرك و هدمه قلاع الكفر وهتكه أستار وما عاينه من الآلام والمصائب والزجر عليه. ثم أشارت إلى اميرالمؤمنين ودوره الشاسع الذي لا بديل له ولا نظير في هذا المسير ولما استهدفه النبي الأعظم كي تعلن عن سرّ عداوة من عاداه وبغض من أبغضه وعرّفتهم بقولها: "تتربصون بنا الدوائر، وتتوكفون الأخبار، تنكصون عند النزال وتفرون عند القتال." ثم أوضحت أنّه كيف ظهر النفاق الخفي بعد وفاة النبي، ظهر فيهم حسكة النفاق وسمل جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين ونبغ خامل الأقلين وهدر فنيق المبطلين هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لما يندمل والرسول لما يقبر. وبعد هذا كلّه أشارت الصديقة الطاهرة إلى فدك وما غصبوا منها وهدّمت ما استندوا به من نسيجهم العنكبوتي، بالآيات القرآنية. وهذا ما يؤكّد أنّ الهدف الأصيل للسيدة الزهراء ليس إلا الدفاع عن الولاية و الإمامة المغصوبة عن أميرالمؤمنين وأنّ فدك كانت وسيلة للتكلّم حولها لأنّ فدك كانت تبسط يد أميرالمؤمنين لاستجلاب الناس وتأليف قلوبهم وتدبير الحكومة في بداية أمره.

وأبو بكر ما كان يخطر بباله أبدا أن السيدة الزهراء ستدير الخطبة بهذا الشكل وستبدأ بولاية أميرالمؤمنين استدامة من ولاية الله سبحانه و رسوله صلى الله عليه وآله وستحرّك الأنصار. إنّه كان يعتقد أن فاطمة ستندب ما اغتصب منها من فدك فقط. الأمر الذي كان ينفعه مأة في المأة؛ حيث أنه قد قدم أهل البيت :أمام الناس، حيث قال إن فدك ملك لجميع المسلمين. وعلى صعيد آخر، خطبة السيدة حول فدك، ستذهل الناس عن الأمر الأهم الذي لم يكن إلا ولاية أميرالمؤمنين وإمامته والذي كان أبو بكر بحاجة شديدة أن ينسيه الناس في ذلك الزمان. غير أن زهراء انتهزت لهذه الفرصة القليلة وذهبت بما شيّده القوم واستهانت بما عنونوه به أبا بكرهم بقولها: "يابن أبي قحافة" ووصل الأمر إلى حدّ أنّ أبا بكر لم يجد بدّا عن استخدام طريقة الجبّارين العاجزين من السبّ والتهديد. سأل ابن أبي الحديد(1378، 16: 284) عن الأستاذ الكبير ومعلم بغداد، علي بن الفار: "هل كانت زهراء صادقة في ادعائها؟"، فأجاب: "نعم". ثم سأل: "ألم يكن الخليفة يعلم أنها امرأة صادقة؟"، فأجاب: "نعم". ثم سأل: "لماذا لم يُسلِم الخليفة لها حقها؟". وفي هذه اللحظة ابتسم الأستاذ وقال بكل هدوء: "لو أنه في ذلك اليوم قبل كلامها ورد فدك إليها دون طلب، بدافع أنها امرأة صادقة، ستغتنم فاطمة هذه الفرصة بلا شك وتجيئ من غد وتدّعي أنّ الخلافة حقّ لعليّ. ولكن من أجل إغلاق باب الطلبات والمناقشات، منعها من حقها المعترف به".

فالسيدة فاطمة تقرأ الآيات القرآنية بحيث كأنّها رسول الله يقرأها عن لسان جبرئيل وأخجلت بها أبا بكر وذكّرتهم بالظلم الذي جرى عليها رجاء أن يدعوا الرعب وراءهم ويفرّقوا الظالمين أيادى سبا. وواجهت الأنصار في خطابها ولا المهاجرين؛ لأنّهم رغم الفشل الذي صدر منهم في السقيفة، لم تستيأس منهم بعدُ؛ إذ كانوا هم الذين عاهدوا رسول الله في العقبة الثانية أن يدافعوا عنه وعن أهله وإن بلغ دماءهم ويرجى أن ينتبهوا ويقوموا بوظيفتهم ومن زعماءهم من لم يبايع القوم بعدُ. لذا عبّرت عنهم بـ«الفتية» وشجّعتهم بهذه العنوان وهيّجتهم به وبما شرحته من مصيبة فقدان رسول الله وما جرى لأجله. وأيضا خاطبتهم بقوله «بنى قيلة» كي تشير إلى أنهم فروع من

أصل واحد واستهدفت أن تجمع شملهم وتوحّدهم بهذا العنوان. ثمّ ذكّرتهم بما عندهم من العِدّة والعُدّة واستنصرتهم بعالى صوتها. وفي الختام، ختمت خطبتها بالتوعيد من العذاب الدائم وأنّهم سيرون عاقبة الرغبة عن ولاية أهل البيت موسومة بغضب الجبار وشنار الأبد موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة. وبعد هذا كلّه سكتت فاطمة وانتظرت ما يجاوبها به القوم لكنّ أبا بكر ما تركهم بل صعد المنبر واعترف بفضل أميرالمؤمنين وأهل البيت أولا ثم حاول أن يقلّل من أهمّية المسألة إلى حدّ نزاع ماليّ حول فدک ويشهد الله أنّه سوف يصرفها في مصالح المسلمين من السلاح والكراع كي يتمكّنوا من حرب العدوّ. وهكذا يوقع النزاع بين المشافهين والصديقة الطاهرة. لكنّ الصديقة تستمر بحزم في فضحهم بشكل متزايد، وتكشف الستار عن مؤامراتهم وأكاذيبهم، وتثبت كذبهم على الله ورسوله بالاستناد إلى القرآن، وتوضح منشأ كل هذا الأمر، وهو هوى النفس وسيطرة الشيطان. وفي هذا الوقت إنّ أبا بكر يحكّم الناس، ليظهر نفسه كداعم لهم وليجعلهم في مواجهة أهل البيت، بينما توجهت زهراء إلى الناس وحذرتهم من عواقب هذا العمل. وحسبما يقول الراوي: "وَلَمْ يَرَ النَّاسُ أَكْثَرَ بَاكٍ وَلَا بَاكِيَةً مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ." (الحسون ومشكور، 1411هـ، 4: 122؛ الأربلي، 1401 هـ ، 2: 115).

5.1.3. الانذار (الخطبة الثالثة)

أما الخطبة الثالثة فقد ألقيت أمام نساء المهاجرين والأنصار عندما كانت الزهراء مريضة وجئن لعيادتها. وقد وردت هذه الخطبة أيضاً في مختلف مصادر الشيعة وأهل السنة؛ مثل بلاغات النساء ومعاني الأخبار والأمالي ودلائل الإمامة والاحتجاج وشرح النهج البلاغة وكشف الغمة. هذه الخطبة لها مقدمة ومتن. فمقدّمته البراءة ومتنه المحاكمة والبشارة. التبرّي من الفشل والخلود إلى الأرض ونعيمها الزائلة؛ والمحاكمة على سوء ما اختاره رجالهم؛ لأنّهم استبدلوا عليّا بغيره والرأس بالذنب ولم يكن هذا إلا لما في قلوبهم من الحسد لأميرالمؤمنين، ورسمت لهم بوضوح حكومة أميرالمؤمنين وآثارها. والإنذار من عواقب الاختيار السيّئ التى ليس إلا السيف القاطع والظلم في الحكم وغارة الأموال والتفرقة والذلّة. وتصرّح السيدة الزهراء في خطبتها هذه بحقّ أميرالمؤمنين وتستهدف أن تهيّج غيرتهم بما تلته عليهم من الآيات القرآنية لعلّهم ينتبهوا من رقدتهم. ومع الأسف لم تؤثّر نفس الزهراء في حياة المجتمع ولكنّ المهمّ هو أداء الواجب و السيدة الزهراء أدّت ما عليها من الواجب بأجمل ما يمكن وبذلت نفسها عليه. وحقّ علينا أن نتعلّم الدفاع عن الحقّ عن السيدة فاطمة (پورسيد آقايى، 1381ش، 192–194).

2.3. دفاعيات غير صريحة (المبارزات السلبية)

1.2.3. تحريم الحوار مع الخليفة

إنّ السيدة فاطمة في استمرار دفاعها عن على وتتميما للحجة على الناس، قرّرت أن لاتحدّث أبدا مع أبى بكر وعمر إلى أن تتوفّى. (اربلي، 1401 هـ ، 2: 103؛ ابن أبي الحديد، 1378 هـ، 2: 46). وكما نقل البخاري، محدث أهل السنة، مع كل ما فيه من العصبية لأربابه: طلبت فاطمة من أبو بكر أن يعطيها ميراثها وحقها، وامتنع أبوبكر عن ذلك، وبعد ذلك نقل البخاري عن عائشة قولها: "فغضبت فاطمة بنت رسول الله فهجرت أبابكر فلم تزل مهاجرة حتى توفيت" (البخاري، 1401 هـ ، 4: 63). وقالت الزهراء لأبى بكر الذي غصب حقها: والله لا دعون الله عليك والله لا أكلمك بكلمة ما حييت" (اربلي، 1401هـ، 2: 37؛ ابن أبي الحديد، 1378هـ، 16: 214) وأيضًا أثناء محاولة عمر لاقتحام البيت، قالت: "والله لا أكلم عمر حتى القي الله" (ابن أبي الحديد، 1378 هـ ، 1: 137؛ 2: 19).

كان هذا الصراع السلبي وصمت الزهراء ثقيلة على اللخلفاء وفضيحة لهم، فكانت تمتنع من مواجهتهم حيثما لقيتهم (المجلسي، 1403هـ، 43:203). وأثّرت هذه السياسة تدريجياً في أذهان الناس، حتى أنهم سألوا بعضهم بعضاً: لماذا لا تتحدث الزهراء مع هذين؟ ولتجنب المزيد من الفضيحة، قرر الخلفاء أن يأخذوا هذه السياسة من الزهراء، وفقًا لحديث للصدوق، أقسم أبو بكر أنه لن يخرج إلى

ظلّ وتحت سقف حتى يحصل على رضاها (الصدوق، 1408هـ، 1:178). وجعلوا علياً وسيطاً. وعليّ الذي اتّخذ التقية سياسة ووقاية لدينه ودنياه لم يجد بدّا من قبول اقتراحه. فطلب من الزهراء التي لاتردّ له كلاما قط فأذنت لهما ولكن حينما دخلا عليها سحبت الزهراء عليها غطاءً، وتوجّهت إلى الحائط، ولم ترد عليهما سلامهما، وحينما أرادا أن يتفقدا، قالت الزهراء: لاأكلّمكما إلا أن تجيبا عن سؤالي. وسألت منهما وأقسمهما بالله: هل تتذكران أن رسول الله قال لكما: «فاطمة بضعة منّى و أنا منها، من اذاها فقد اذانى، ومن اذانى فقد اذى الله، و من اذاها بعد موتى فكان كمن اذاها فى حياتى، ومن اذاها فى حياتى كان كمن اذاها بعد موتى؟». فقالا نعم والله، سمعنا ذلك من النبي وبعد ما اعترفا قالت الزهراء: اللهم اشهد أنّ هذين قد آذيانى في حياتي وعند مماتي، وأقسم بالله لاأكلمكما إلى أن ألقى والدي وأشكوكما إليه. فخرجا من البيت (العقاد، د.ت: 45–46).

2.2.3. أذان بلال

بعدما توفي رسول الله وترك وصيه. امتنع بلال عن الأذان، احتجاجا على ذلك ورغم كلّ التأكيدات اعتذر بأنه لن يؤذن لأحد بعد رسول الله. لكنّ الزهراء طلبت منه أن يؤذن، وقالت: "اشتدّ اشتياقى إلى أن أسمع صوت مؤذّن أبي". فعندها صعد بلال وقام على سطح المسجد واهتزت المدينة بصوته الحزين: "الله أكبر". توقف الجميع عن العمل، حتى النساء والأطفال خرجوا وتجمعوا أمام المسجد، وأصبحت المدينة معطلة. كل كان يستمع إلى نغمة بلال. يبدو أنهم تذكروا أيام النبي. كانوا يسألون بعضهم البعض لماذا ما كان يؤذن بلال؟ كانوا ينظرون بعضهم إلى البعض، ثم ينحنون رؤوسهم ويخجلون من بيعتهم لأبي بكر. والزهراء كانت تستمع إلى المؤذن مع الجماعة وكانت تتذكر أيام والدها. كانت تسكب كالمطر وتذرف الدموع. وحينما ارتفعت صيحة: "أشهد أن محمدا رسول الله". في جو المدينة، لم تستطع الزهراء أن تتحمل، فقد أنّت وحنّت وغابت عن الوعي؛ بينما اعتقد الجميع أنها غادرت الحياة. فصرخ الناس: "أمسک يا بلال! فلقد ماتت فاطمة"، وترك بلال باقي الأذان، ولم يدر كيف وصل إلى فراش الزهراء.عندما أيقظوها، طلبت من بلال أن يستكمل الأذان ولكنّه امتنع حفظا على حياة فاطمة. (المجلسي، 1403هـ، 43:157).

3.2.3. الدموع المستمرة

بكت الزهراء بعد وفاة ابيها حتى أزعجت سكان المدينة، تقدم جيرانها الذين تأثروا ببكائها إلى علي قائلين: "بلغ فاطمة وقل لها: إما أن تبكي في الليل وتستريحي في النهار أو تستريحي في الليل وتبكي في النهار!" ولكنّها أجابت: "إنّ عمري قد بلغ إلى نهايته ولن تطول وقوفي بينكم". من ذلك الحين، كانت تأخذ بيد الحسن والحسين: وتذهب إلى قبر النبي وتبكي، قائلة لهم: "ريحانتيّ! هذا قبر جدكم، الذي كان يحملكما على كتفيه وكان يحبكما كثيرًا". ثم كانت تتوجه إلى البقيع وتذرف الدموع على قبور الشهداء، وبنى علي لها ما تستظلّ به سمّى بـ«بيت الأحزان». (المجلسي، 1403 هـ، 43: 177 و 35).

البقيع كان يقع إلى جانب طريق القوافل. وكانت السيدة الزهراء تأخذ مأوى في هذا المكان. وبطبيعة الحال، كلما مرت قافلة، رأت مظلّة هناك وسمعت صوت حنين وبكاء. وحينما يبلغهم حقيقة الأمر وأنّ هذا الصوت صوت بنت رسول الله كانوا يقتدّمون وهكذا كانت السيدة الزهراء تنتهض الفرصة للحديث عن الظلم الذي جرى عليها وعلى أهلها. في تلك الفترة التي كانت الحكومة الغاصبة تمنع الصحابة عن الخروج عن المدينة وحاصرتهم فيها،(ابن أبي الحديد، 1378 هـ، 20: 20) لم يبق للسيدة فاطمة طريق غير طريق القوافل كي تبلغ صوتها و خبر هذه الجريمة إلى سائر الناس. إذا لم يكن هناك دعم لعلي في المدينة، ربما يمكن أن يكون بإمكانها جذب داعمين من الخارج.

إنّ فاطمة كانت تأتي إلى قبور شهداء الأُحد، كل اثنين وجمعة وتبكي. روي عن محمود بن لبيد: "إنّ فاطمة بعد وفاة والدها كانت تبكي عند قبر حمزة. في يوم من الأيام، مررت بأحد ورأيت فاطمة وهي تبكي بشدة عند قبر حمزة. انتظرت حتى اهتدأت، ثم

تقدمت نحوها وسلمت عليها وقلت: "يا سيدتي، إن هذا الحنين والأنين يقطع نياط قلبى. أجابت: "ينبغي لي هذا البكاء والنحيب لأنني فقدت أبًا رحيمًا وأفضل الأنبياء. ما أشوقنى إلى رؤيته!". قلت: "يا سيدتي، أنا أريد أن أسألك سؤالًا". أجابت: "اسأل". قلت: "هل صرح النبي بوصاية علي في حياته؟" أجابت: "واه، أنسيتم غدير خم؟!" قلت: "لا؛ ولكنني أريد معرفة ما قاله النبي لک في هذا السياق". أجابت: "أشهد بالله، أنّ النبي قال لى: الخليفة من بعدي علي، وابناي الحسن والحسين وتسعة من ذريتهما هم الأئمة. لئن اتبعتموهم، تهتدوا، وإن خالفتموهم فلن يرفع الاختلاف بينكم إلى يوم القيامة".

إنّ السيدة الزهراء كانت ترى معاناة جميع البشر وشدّة حياتهم إلى يوم القيامة، في غياب علي، وكانت تذرف الدموع ليلاً ونهارًا، حتى أصبحت أكثر الباكين في التاريخ واشتهرت باسم "رأس البكّائين" (المجلسي، 1403هـ، 43: 35). عندما سألتها أمّ سلمة: "كيف أصبحت؟"، قالت: "أصبحت بين كمد وكرب، فقد النبي وظلم الوصى" (المجلسي،43: 156). وكما قالت لنساء المهاجرين والأنصار: " لعمرى لقد لقحت، فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوا ملاء القعب دما عبيطا وزعافا مبيدا، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف البطالون غبّ ما أسس الأولون، ثم طيبوا عن دنياكم أنفسا، واطمأنوا للفتنة جاشا، وأبشروا بسيف صارم، وسطوة معتد غاشم، وبهرج شامل، واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيدا، وجمعكم حصيدا. فيا حسرة لكم! وأنى بكم وقد عميت عليكم! أنلزمكموها وأنتم لها كارهون؟!". وعندما لايفيد الصرخة شيئا ربما يكون للدموع الغزيرة الدائمة أثرا في قلوب هؤلاء الجماعة الظالمة القاسية، وربما يتشكل هذا السؤال في عقولهم: لماذا تبكي الزهراء، حبيبة الله وابنة الرسول؟

4.2.3. الوصية

إنّه لقد آذت روح السيدة الزهراء وذابت جسمها كلّ من موت الأب، وظلم الزوج، وضياع الحق، وغصب وصاية النبي في فترة قليلة. إنّ السيدة لم تبتل بأيّ مرض بعد استشهاد النبي الأعظم؛ كما أنّ الأمر هكذا في المصادر التي بأيدينا. العقاد – الكاتب المعاصر السني – في حين أنّه لم يصرّح بأيّ مرض جسمي للسيدة فاطمة، يكتب: "كانت الزهراء نحيفة وكانت لونها أصفر. رآها والدها أثناء مرضه وقال إنّها أول من يلحق به من أهله." (العقاد، د.ت: 66). والذي يريد العقاد أن يعطينا أنّ النبي قال ما قال، عندما رأى الضعف الغالب على جثّة ابنته، وهذا ما لايساعده أيّ وثيقة تاريخية في أيّ من المصادر. ولكنّ مرضها بدأت بعد الأحداث السيئة التي حدثت بعد وفاة النبي الأكرم. ولسنا نعلم مدّة مرضها وابتلاءها بالفراش وبقاءها بعد النبي بالدقة. وقد وردت وصايا السيدة فاطمة بشكل منقطع وغيرمنظم في الروايات والتواريخ، ولكن لانعرف الأشخاص الذين أوصت السيدة فاطمة إليهم وأنّه هل كانت هذه الوصايا مكتوبة أم سمعوها من فمها أم ملفقّة منهما. ولكن ما أوصت به عليا أميرالمؤمنين مما ورد في كثير من مصادر الفريقين؛ التي منها: «إذا أنا متّ فادفّنى بالليل و لا توذنن رجلين ذكرتهما» و«اوصت فاطمة أن لايعلم اذا ماتت ابوبكر و لا عمر، ولايصلّيا عليها» (مجلسى، 1403 هـ ، 43: 183–182؛ اربلى، 1401 هـ ، 2: 68). وروي عن ابن نباته أنّه قال: سئل اميرالمؤمنين على بن ابىطالب عن علة دفنه فاطمة بنت رسول الله ليلاً؟ فقال: انها كانت ساخطة على قوم كرهت حضورهم جنازتها»(صدوق،1400 هـ: 523).

حقيقتا... أين مزار فاطمة؟! و من يدري به؟

جاءت في كثير من المصادر الموثوق بها أنّ فاطمة أوصت بخفاء قبرها (مجلسى، 1403 هـ،43: 192) سكوتها؛ بكاءها الدائم؛ وصيتها؛ وأخيرا، مزارها المخفي عن الأبصار، أثارت سؤالات في أذهان الناس. ولذا نسمع عن القوم: "«فضجّ الناس ولام بعضهم بعضاً و قالوا لم يخلف نبيّكم فيكم الاّبنتاً واحدةً تموت و تدفن ولم تحضروا وفاتها والصلوة عليها ولا تعرفوا قبرها» (مجلسى، 1403 هـ،43: 171). وربما كانت فاطمة تتفكر في أنه من خلال هذا العمل الفريد، قد تستطيع أن تحرّک الناس ضد الخلفاء. يقول

ابن عباس: "«فقبضت فاطمه من يومها فارتجت المدينة بالبكاء ومن الرجال و النساء و دهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله»" (المجلسي، 1403 هـ، 43: 199).

النتيجة

إذا كانت فاطمة سيدة النساء، فيجب علينا أن نعرفها، حيث أن الحب لا يمكن أن يتحقق بدون المعرفة. حياتها هي حقيقة يتناولها الناس كل واحد منهم من زاوية نظره، فقد كتب الناس عنها من زوايا مختلفة؛ بعضهم تحدث عن إيمانها، وبعضهم عن زهدها، وبعضهم عن عباداتها المستمرة. إن الحيرة والقلق الحادثة بعد استشهاد النبي الأعظم أتاحت الفرصة للانتهازيين الذين يترصّدون هذه الفرص للنيل إلى مقاصدهم. رغم أن النبي قد حدد الطريق منذ سنين عديدة وأكثر من ذكر فضائل علي، كما أن روايات متواترة مثل حديث الغدير و حديث المنزلة شهود صدق على ذلك ولكن بعد وفاته، نظرًا للنظام القبلي السائد في تلك الفترة والعداء والحقد، تشكلت حركة المنافقين وبقي علي وحده، واتخذ سياسة التقية كما أوصاه بها النبي، وقامت فاطمة التي اعتبرت أعظم ظلم للإنسان في غصب مقام وصاية النبي بالدفاع عن أميرالمؤمنين بشجاعة، ومع مواقفها الصلبة، هيّأت البيئة لظهور الأئمة :. في هذا البحث، تمت مراجعة أفعال ودفاعيات السيدة فاطمة في ضمن قسمين: الدفاعيات الصريحة من خلال تقديم أدلة قاطعة من النصوص الشيعية الأصلية وكتب الإخوة من أهل السنة، مثل الدعوات الليلية، والمقاومة أثناء الهجوم على منزلها، والمحاضرات، ووقوفها في قضية الفدك وخطبة الفدكية، وخطبة فاطمة الثلاثية أمام نساء المهاجرين والأنصار. كما تم استعراض تحريم الحوار مع الخليفة حتى نهاية حياتها، ودموعها المستمرة بعد وفاة النبي الكريم ووصيتها ودفنها السري كنموذج لمواجهاتها السلبية.

المصادر و المراجع

القرآن الكريم

نهج البلاغه(سیدالرضی، 1412 ه)، تحقیق محمد عبده، قم: دارالذخائر.

الف: العربية

1. ابن ابی الحدید، عزالدین عبدالحمید (1378ه)، *شرح نهج البلاغه*، تحقیق: محمد ابوالفضل ابراهیم، مصر: دار احیاء الکتب العربیه.
2. ابن ابی شیبه، ابوبکر(1409 ه)، *المصنف*، بیروت: دارالفکر.
3. ابن الاثیر، مجدالدین الشیبانی الجزری(1364ش)، *النهایة فی غریب الحدیث و الاثر*، قم: مؤسسه اسماعیلیان.
4. ابن حجر عسقلانی، ابوالفضل بن احمد(1415 ه)، *الاصابة فی تمییز الصحابة*، بیروت: دارالکتب العلمیة.
5. ابن حنبل، احمدبن محمد(1389 ه)، *المسند*، بیروت: المکتب الاسلامی و دارالصادر.
6. ابن هشام، عبدالملک بن هشام(د.ت)، *السیرة النبویه*، بیروت: دار احیاء الثرات العربی.
7. الاربلی، علی بن عیسی(1401 هـ)، *کشف الغمه فی معرفة الائمة*، تعلیق: سیدهاشم رسولی محلاتی، بیروت: دارالکتاب الاسلامی.
8. الآمدی، سیف‌الدین(د.ت)، *ابکار الافکار فی اصول الدین*، د.م: دارالکتب.
9. الامینی(1397 ه)، *الغدیر فی الکتاب و السنة و الادب*، بیروت: دارالکتاب العربی.
10. الایجی، میر سیدشریف(د.ت)، *شرح المواقف*، قم: الشریف الرضی.
11. البحرانی، السیدالهاشم(1416 ه)، *البرهان فی تفسیر القرآن*، تهران: بنیاد بعثت.
12. البخاری، محمدبن اسماعیل(1401 ه)، صحیح، بیروت: دار احیاء التراث العربی.

13. البلاذری، احمدبن یحیی(1397 ه)، *انساب الاشراف*، بیروت: دارالتعارف.
14. الترمذی، محمدبن عیسی(1413 ه)، *الجامع الصحیح*، بیروت: دارالفکر.
15. التفتازانی، سعدالدین(1409 ه)، *شرح المقاصد*، قم: الشریف الرضی.
16. الجوهری، ابوبکر احمدبن عبدالعزیز(1401 ه)، *السقیفة و فدک*، تهران: مکتبة نینوی.
17. الحسّون، محمد و المشکور، امّ علی(1411 ه)، *اعلام النساء المؤمنات*، قم: انتشارات اسوه.
18. الحلی، جمال‌الدین ابومنصور(1417 ه)، *النافع یوم الحشر*، تحقیق: المقداد السیوری، بیروت: دارالأضواء.
19. الدیلمی، الشیخ ابومحمد(1398 ه)، *ارشاد القلوب*، بیروت: مؤسسة الاعلمی.
20. الدینوری، ابن قتیبه(1371 ه)، *الامامة و السیاسة*، تحقیق: علی الشیری، قم: منشورات الرضی.
21. الراغب الاصفهانی، ابی القاسم الحسین بن محمد(1387ش)، *المفردات فی غریب القرآن*، ایران: مؤسسة فرهنگی آرایه.
22. السیوطی، جلال‌الدین بن ابی بکر(1406 ه)، *حاشیة السندی علی سنن النسائی*، حلب: مکتب الاسلامیة.
23. السیوطی، جلال‌الدین بن ابی بکر(1414 ه)، *الدر المنثور*، بیروت: دارالفکر.
24. الصدوق، محمدبن علی بن بابویه القمی(1400 ه)، *الامالی*، بیروت: منشورات الاعلمی.
25. الصدوق، محمدبن علی بن بابویه(1378ش)، *عیون اخبار الرضا* 7، تهران: نشر جهان.
26. الصدوق، محمدبن علی بن بابویه(1403 ه)، *الخصال*، تحقیق: علی‌اکبر الغفاری، قم: نشر اسلامی.
27. الصفدی، صلاح الدین خلیل بن أیبک(1420 ه)، *الوافی بالوفیات*، بیروت: دار احیاء التراث.
28. الطبرانی، ابی القاسم سلیمان بن احمد(1415 ه)، *المعجم الاوسط*، د.م: دارالحرمین.
29. الطبرسی، الشیخ ابومنصور(1413 ه)، *الاحتجاج*، قم: انتشارات اسوه.
30. الطوسی، خواجه نصیرالدین(1413 ه)، *قواعد العقائد*، باهتمام: علی حسین حازم، بیروت: دارالغربة.
31. العقاد، عباس محمود(د.ت)، *فاطمة الزهراء و الفاطمیون*، بیروت: منشورات المکتبة العصریه.
32. الفرات الکوفی، ابوالقاسم(1410 ه)، *تفسیر*، تهران: سازمان انتشارات وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی.
33. القندوزی الحنفی، سلیمان بن ابراهیم(1416 ه)، *ینابیع المودة*، تحقیق: السیدعلی جمال اشرف الحسینی، بیروت: دارالاسوة.
34. الکلینی، محمدبن یعقوب(1429 ه)، *الکافی*، قم: دارالکتب الاسلامیه.
35. المجلسی، محمدباقر(1403 ه)، *بحارالانوار*، بیروت: مؤسسة الوفاء.
36. المفید، محمدبن محمدبن النعمان(1371ش)، *الجمل*، تحقیق: میرشریفی، قم: دفتر تبلیغات اسلامی.
37. المفید، محمدبن محمدبن النعمان(د.ت)، *النکت الاعتقادیة*، بی‌جا: المؤتمر العالمی للشیخ المفید.
38. المقداد، جمال‌الدین(1363 ه)، *ارشاد الطالبین*، قم: مکتبة آیت‌الله المرعشی.
39. المَقدَسی، ابن مطهر(1899م)، *البدء و التاریخ*، بیروت: دارالصادر.
40. المناوی، محمد عبدالرؤوف(1415 ه)، *فیض الغدیر*، تحقیق: احمد عبدالسلام، بیروت: دارالکتب العلمیة.
41. النیشابوری، الفضل بن شاذان (1402 ه)، *الایضاح*، بیروت: مؤسسة الاعلمی.
42. الهندی، المتقی(1405 ه)، *کنز العمال*، تصحیح: الشیخ بکری الحیانی، بیروت: مؤسسة الرسالة.

ب: الفارسیة

43. پورسیدآقایی، مسعود(1381ش)، *چشمه در بسترء تحلیلی از زمان‌شناسی حضرت زهرا* 3، قم: مؤسسة انتشارات حضور

44. جوادی الآملی، عبدالله(1368ش)، *وحی و رهبری*، قم: انتشارات الزهراء.
45. حسن‌زاده آملی، حسن(1385ش)، *ده رساله فارسی*، قم: الف لام میم.
46. طباطبائی، السیدعلی(1386)، انسان کامل، قم: مطبوعات دینی.
47. کربن، هانری(1361ش)، *اسلام در سرزمین ایران*، ترجمه رضا کوهکن، تهران: مؤسسه پژوهشی حکمت و فلسفه ایران.
48. کربن، هانری(1386ش)، *تاریخ فلسفه اسلامی*، ترجمه جواد الطباطبایی، تهران: کویر.